أمره، بحكم اوضاع اجتماعية واقتصادية تتسم بالتخلف؛ ومنها جميع وسائل الفتك والترويع للوصول الى غايته» (**الخطاب المنهجي الذي القاه المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبة في مؤتمر القمة العربي**، تونس: منشورات الحزب الحر الدستوري التونسي، بلا تاريخ نشر، ص ٧ ـ ٨).

وقال بورقيبة ان حل القضية لا بد ان يكون احد الحلول التي لجأت اليها الدول والشعوب المحتلة، وهو الكفاح لاخراج المستعمر. وركز على ان الكفاح ضد الاستعمار لا يهدف الى الحاق الهزيمة بجيشه، انما مضايقته وتكبيده خسائر تجعله يفضل، في النهاية، الجلاء عن الاراضي التي يحتلها.

وكان الامر الجديد على السياسة العربية، ذلك الهجوم الذي شنّه بورقيبة ضد مواقف الدول العربية من قضية فلسطين، ودعوته الى رفع وصايتها عن الفلسطينيين، لأنهم اصحاب القضية. قال:

«فالقضية، اذاً، ليست منحصرة في نزاع بين اسرائيل والدول العربية، باعتبارها معنية باختلال التوازن في هذه المنطقة؛ بل نعتقد بأن وضع المشكل بهذه الصورة لم يساعد على تقريب ساعة الخلاص بالنسبة الى اخواننا الفلسطينيين. فمنذ [العام] ١٩٤٨ والدول العربية لا شغل لها الا اسرائيل وتحرير فلسطين من ربقة اسرائيل، ولم تفلح في ذلك. وليس من المعقول ان تفلح، اذا هي اصرت على اعتبار ان سبيل تحرير فلسطين هو الحرب الكلاسيكية. اذ قد تكون، فيها، اسرائيل أقوى منّا جميعاً، بما لديها من امكانيات داخلية، وخارجية، لا تدخل تحت حصر. ينبغي، اذاً، ان نضع المشكل في اطاره الحقيقي، وهو فلسطين. ثم ينبغي ان نعمل على ان يصير المشكل شغل العالم بأسره. ولن يتأتى ذلك، الا اذا قام ابناء فلسطين برد الفعل المباشر، المستمر، المتواصل، مهما كانت التكاليف، مع قيادة رشيدة، ووعي كامل، وروح جامحة» (**المصدر نفسه**، ص ١٠ ـ ١١).

وواصل بورقيبة طرح آرائه بجرأة وبصراحة: «بل ان واجباتنا، عندئذٍ، لن تقل جسامة وثقلاً؛ اذ علينا ان نعمل على بعث حركة المقاومة؛ وعلينا ان نغذيها بصورة مستمرة وفعالة؛ وعلينا ان نحتضنها، كلفنا ذلك ما كلفنا من تضحيات. ولكن محور المقاومة، كما أكد الاخ الشقيري نفسه، يجب ان يكون بفلسطين، في قلب المدن وعبر الصحراء وفي قمم الجبال، ولا سبيل غير هذه، اذا اردنا ان تكون أعمالنا مصداقاً لأقوالنا، واذا وطدنا العزم على نزع هذه الوصمة من جباهنا جميعاً معشر العرب. ولا يظنن اخواننا بفلسطين ان الامر فوق طاقتهم. فالعبرة ليست بكثرة العدد، ولا بضخامة العدة التي بأيديهم. العبرة، أولاً وقبل كل شيء، بروح المقاومة، وبدوام المضايقة؛ والعبرة، أيضاً، بتدبير الامور وتصريف الحوادث» (**المصدر نفسه**، ص ١٢ ـ ١٣).

وتحدث بورقيبة عن تجربة تونس والجزائر في الكفاح، ولخصها في انها اعتمدت على الكفاح والاعتماد على الذات أولاً، واتباع سياسة المراحل التي سار هو عليها. ودعا الفلسطينيين الى ان يتبعوا الطريقة ذاتها؛ اذ «... ليس هناك طريقة ناجعة غير طريقة المراحل. وهي لا تعني التخلي عن الهدف أو الرضى بأمور تافهة نضفي عليها لقب المراحل؛ بل ان طريقة المراحل الايجابية الثورية، أشبه ما تكون بالخطة الحربية التي ترمي الى احتلال المراكز الحساسة التي تساعد على مواصلة السير والتوغل في الميدان، والاقتراب، أكثر فأكثر، من الغاية القصوى» (**المصدر نفسه**، ص ٢١).

ونصح بورقيبة القادة الفلسطينيين بأن لا يترددوا في الاخذ بالحلول الصحيحة، حتى وان صدمت مشاعر الجماهير:

«ثم انه الى جانب التمييز الصحيح بين الغث والسمين، لا بد من خصال أدبية تساعد على تحمّل مسؤولية الاختيار والجهر به، ولو كان مصادماً للشعور السائد في الجماهير. ولا بد، لذلك، من الشجاعة والصبر على المكروه، وتحمّل الانتقاد الصادر، أحياناً، عن الاخوان والاصحاب. ولا بد من روح التضحية ونكران الذات؛ اذ ان الاختيار مجازفة وشبه مراهنة على الاحداث» (**المصدر نفسه**، ص ٢٣).

عاصفة في العالم العربي

وفي ١٦ شباط (فبراير) ١٩٦٥، وصل بورقيبة الى القاهرة، في مستهل جولة له على عدد من الدول